من هنا ومن هناك

كتاب عن مقاهي باريس

أجل كتاب عن مقاهي باريس صدر أخيراً بقلم مسيو فرانسوا فوسكا، وعنوانه « باريس قريتي » Paris, mon vilage . وإنه لنوع طريف من الأدب أن يعنى كاتب بهذه الناحية من حياة مدينة عظيمة ؛ فكما أن باريس تزخر بمتاحفها وكنائسها وآثارها العظيمة ، فهي أيضاً تزهو وتتألق بمقاهيها ومنتدياتها الليلية . وقد تناول مسيو فوسكا في كتابه صور المقاهي الباريزية الشهيرة في العهد المنقضي والعهد الحالي ، ووصفها وصف خبير طاف بأرجائها وتسكع في أركانها ؛ فمن مقاهي بروكوب دي ديكلو ، والريجانس ، الى مقاصف الباليه رويال ، وسورس دي قرلين ، وفاشيت دي موريا ، وقبير ، وبار دي لابيه ، وتوليه وغيرها الى منتديات اليوم ومعاهده . وهي صور تثير في نفس الباريزي الحق شجنا وذكريات عزيزة ، ولا سيما حين يتصفح أسماء وصورا كانت بالأمس متألقة شهيرة ملء الأبصار والأسماع ، وكان يهرع اليها ويتخذ مكانه بها ويقضي فيها ساعات لذيذة ، قبل العشاء أو بعد المسرح ، ثم اختفت اليوم صورها وأنوابها القديمة المحبوبة لتفسح مكاناً لأنوابها الجديدة ؛ وأي باريزي حق لا يتأثر حين يستعرض ذكريات « قهوة الانكليز » (كافيه دي انجليه) الشهيرة التي كانت قطعة من حياة كثير من أقطاب السياسة والقلم في أواخر القرن الماضي ، والتي أضحت أثرا بعد عين ، ثم « مقهى نابولتان » الذي غيرت معالمه ومظاهره ، وكذلك مقهى فيبر وباردي لابيه . لقد ذهبت هذه المقاهد القديمة ، واكتسحها تيار التحول الحديث ، فأسبغ عليها تخطيطاً خشناً ، وأنواراً مؤذية ، وترفاً سخيفاً ، ورفع عنها ذلك الجو العائلي الذي كان يشعر به الرواد من قبل . بيد أنه ما زالت توجد طائفة من المقاهي القديمة ، الفرنسية حقاً ، وهذه ما زالت كعبة الباريزيين المحافظين الذين يسحرهم المكان والمجلس بأكثر مما يسحرهم المأكول والمشروب

وينوه مسيو فوسكا في كتابه بما كان لهذه المقاهي الباريزية الشهيرة من أثر في تكوين الأوساط الأدبية والفنية ؛ فقد كانت مقصد الكتاب والفنانين والشعراء من كل ضرب ، وكانت مجمعهم ، وكثيراً ما كانت مركزاً للحلقات الأدبية والفنية الشهيرة ، وكثيراً ما كانت مصدر الوحي لكاتب أو شاعر أو فنان . ومن ثم كان كتاب مسيو فوسكا قطعة اجتماعية أدبية فنية فياضة السحر والمتاع

كتاب عن الأبهاء الأدبية

صدر أخيراً بالفرنسية كتاب طريف فريد في نوعه وموضوعه للسيدة مارى شكيفتش عنوانه « ذكريات عصر مضى » ، وفيه تتحدث المؤلفة عن حياة المجتمع وأبهاء الأدب والاجتماع قبل الحرب ، ولا ريب أن كثيراً من نواحي الحياة الاجتماعية قد تغير تغيراً عظيما ، وأصبحت تلك الحياة الذاهبة نكرة بالنسبة للجيل الحالي ، والحياة تتغير دائماً بلا ريب ، ولكن المرحلة التي استحالت إليها الحياة الاجتماعية بعد الحرب كانت سريعة عنيفة ، وكان الانقلاب ثورياً لم يتخذ أسلوب التطور العادي . فمن يقرأ كتاب السيدة شكيفتش من شباب العصر يكاد يعتقد أنه يقرأ عن مجتمع غاضت كل آثاره وكل ألوانه الأولى . على أنه مما يلاحظ أن الحياة الاجتماعية ولاسيما حياة الأبهاء الأدبية تسير أيضاً إلى تطور مستمر ؛ ولقد كان أولئك الذين عرفوا هذه الحياة أيام روسو ومدام ديبناى مثلاً ، ينكرونها بعد ذلك بنحو نصف قرن ، أيام عود الملوكية في أوائل القرن التاسع عشر . وكان أولئك الذين عاصروا مدام ريكامييه وشاتو بريان وتذوقوا الحياة الاجتماعية الأدبية في ذلك العصر يرون في أطوارها وأساليبها التي اتخذتها في عصر الامبراطورية الأولى حياة جديدة لم يعرفوها ؛ على أن هنالك ظاهرة يجب الالتفات إليها ، وهي أن صور الحياة العقلية في ذاتها لم تتطور كثيراً من الوجهة الاجتماعية ؛ وفي وسعك أن تتصور أن الكتاب والمفكرين في العصور الخالية كانوا يجتمعون في حلقاتهم أو أنديتهم لمثل ما يجتمع له الكتاب والمفكرون في عصرنا ؛ غير أن أساليب الاجتماع ذاته قد تغيرت ؛ وتبوأت المرأة في العصور الحديثة مقامها اللائق في الأبهاء الأدبية والحلقات الاجتماعية فنفثت فيها من نفوذها وسحرها ألواناً قوية أضحت

اليوم من أظهر خواصها الاجتماعية . وحياة الأبهاء الأدبية من أهم عناصر الحياة الفرنسية الاجتماعية فى جميع أطوارها الحديثة ؛ وإنك لتقرأ فى مذكرات سانت سيمون ، أو رسائل مدام سفنييه ما تقرأه اليوم فى ذكريات مدام شكيفتش من ألوان هذه الحياة الاجتماعية والأدبية الساحرة ، وقد لاحظ كاتب كبير بحق أن أهم ظاهرة فى الأدب الفرنسى هى أنه اجتماعى ، فكل ما فيه كلام عن المجتمع ، وكل ما فيه موجه اليه ، والحياة الفرنسية فى ذاتها تقوم على الاجتماع والروح الاجتماعية قبل كل شىء ؛ وسحر مؤلف مدام شكيفتش فى أنه يصور هذه الروح أقوى تصوير

جيته وفن الحياة

نعرف أن شاعر ألمانيا الأكبر « جيته » قد ترك فيما ترك مجلداته التى تملأ عشرة مجلدات ومذكراته اليومية ومراسلاته العديدة ؛ ومن الصعب اليوم ، فى عصر السرعة والحياة المثقلة ، أن يتفرغ المرء لقراءة هذه المجلدات العديدة وأن يستمرئ كل ما فيها من المعانى والصور ، ولكن كاتباً فرنسياً هو المسيو روبرت دوركور استطاع أن يدرس هذا التراث دراسة مستفيضة وأن يضع كتاباً بخلاصة دراسته بعنوان « جيته وفن الحياة » Goethe et L'art de Vivre ولم يحاول المؤلف فى كتابه أن يلخص تراث جيته أو يردده ، ولكنه يحاول أن يقدم للقارئ مجموعة الحكم والصور والمواعظ التى تتخلل تراث الشاعر الأكبر . وتسمية الكتاب بهذا العنوان ترجع إلى اللقب الذى يطلقه الألمان أنفسهم على جيته ، فهم يسمونه « فنان الحياة » Le benskünstire

والواقع أنه قلما يوجد بين عظماء الرجال من يضارع جيته فى حياته المنظمة المركزة حول غايات معينة ؛ فقد عاش جيته بمحدوه إرادة راسخة فى أن يعرف وأن يشبع حاجات النفس وحاجات الخلق ، وأن يباعد بين نفسه وبين ما تتأذى منه ، وأن يرتفع بكرامته إلى الذرى ؛ وقد فطن جيته إلى ذلك النقص الاجتماعى الذى يبعثه تشبع الناس بفكرة حقوق الانسان نحو المجتمع ، وأدرك أن للانسان نحو نفسه حقوقاً خاصة ، هى أن يرتفع بخلاله وأن يسعى إلى الكمال ، وفى عصرنا لا يكاد يفطن المرء إلى هذا الواجب ، لأن مشاغل الحياة وحمى الشهوات البشرية تستغرق كل عنايته وتفكيره ؛ وقد كان جيته من أشد الناس عملاً وانشغالاً ، ولكنه لم ينس أن يعمل لنفسه من الناحية الخلقية والمعنوية ، وأن يكونها حسبما توحى به المثل العليا . غير أنك تشعر خلال هذه الصور الممتازة التى يقدمها اليك كفاح جيته فى سبيل الكمال بنقص بيّن ، هو ما تأنسه فى كل أقواله وأفعاله من ضروب الأثرة ؛ فقد كان يحرص على ألا يعكر حياته معكر ، وألا يثير عواطفه شئ ، حتى لا يضعف أمام النوازل والحوادث ؛ وهى فلسفة الجمود والقسوة التى تبعد كثيراً عن مثل الانسانية الرفيعة . هذه الصور والحقائق يدرسها مسيو دوركور دراسة فياضة ممتعة ، ويقدم الينا حياة الشاعر الأكبر على ضوء المبادئ والفلسفة التى تكونت فيها

ذكرى يوهان باخ

تتأهب الدوائر الفنية والموسيقية فى ألمانيا وفى جميع أنحاء العالم للاحتفال بذكرى الموسيقى الأكبر يوهان سبستيان باخ Bach ، وذلك لمناسبة مرور مائتين وخمسين عاماً على مولده . وباخ من أعظم أبطال الفن والموسيقى لا فى ألمانيا وحدها ، ولكن فى العالم كله . وقد كان مولده فى مدينة إيزناخ سنة ١٦٨٥ ، من أسرة عرفت بمواهبها الموسيقية ، ونبغ منها أكثر من موسيقى كبير ، وقد كان لهذا الظرف أثره فى تربية باخ وفى تكوينه ، وظهر هيام باخ بالموسيقى منذ كان طفلاً فى العاشرة ، وكانت أسرته تخشى على مستقبله من هذا الهيام وتخفى عنه المؤلفات الموسيقية ، ولكن باخ كان يبحث عنها وينقلها لنفسه على ضوء القمر ، وكان للغلام صوت بديع لم يلبث أن استرعى الأنظار ، فعين مرتلاً فى مدرسة لينبرج ؛ ولما ساء صوته بعد ذلك عين عازفاً على القيثارة ؛ ثم ظهرت مواهبه الموسيقية بسرعة ، وكانت رائعة ، فاستدعى إلى بلاط ڤيمار وعين موسيقياً ملكياً ، وهنالك استطاع أن يدرس الموسيقى الايطالية ؛ ثم عين بعد ذلك عازفاً على « الأرغن » فى كنيسة ارنشتاث ، ومن ذلك الحين أعنى مذكان باخ فى نحو العشرين فقط ، أخذ فى وضع القطع الموسيقية ؛ وكانت أولى قطعه « رحيل أخى الفجائى » من أبدع ما عرف التأليف الموسيقى ، وقد استلهمها من رحيل أخيه عن وطنه ليلتحق بالجيش السويدى ، وتزوج باخ بابنة عمه ماريا بربارا ، وعاد بعد عامين أو ثلاثة إلى العمل فى بلاط ڤيمار ؛ وهنالك أقام نحو تسعة أعوام ، ووضع أبدع قطعه الموسيقية ، وتأثر فى دراسته بالأساتذة الايطاليين أعظم تأثر . وفى سنة ١٧٢٠ توفيت زوجته ماريا فتزوج من بعدها « أنا فلكنس » ، وكانت ذات مواهب موسيقية بديعة ، فعاونته فى عمله ؛ وفى ذلك الحين ابتدأ باخ يضع قطعه الشهيرة المعروفة